

حول معجم مَوْحَدٍ لَأَلْفَاظِ الْحَضَارَةِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

د. عبدالكريم خليفة
رئيس المجمع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد دأب مجمعنا بالقاهرة على اختيار قضية أساسية من قضايا العربية في العصر الحديث، يجعلها في كل عام الموضوع الرئيسي للبحوث في مؤتمره السنوي. وبذلك استن سنة حميدة اذ يطرح للبحث والدراسة أمام المجمعين وعلماء العربية، جوانب مهمة من قضايا العربية في العصر الحديث. وهي قضايا تمس جوهر وجود أمتنا ووحدة وارتقاءها في سلم العلم والحضارة، والانتقال من حالة التبعية الفكرية الى حالة المشاركة الأصلية المبدعة في العلوم والتقنيات الحديثة. وقد جاء موضوع البحث في «ألفاظ الحضارة في الوطن العربي» ليكمل الصورة الكلية لخدمة العربية والعناية بها في جوانبها المتعددة من حيث التعريب وجعل العربية لغة التدريس والبحث في الجامعات والمؤسسات العلمية، وكذلك من حيث الارتقاء بلغة وسائل الاتصالات الجماهيرية في الصحف والمجلات ودور الاذاعة المسموعة والمرئية، وكذلك الموضوعات التي تثار حول الصراع بين العاميات باتجاهاتها الاقليمية الضيقة وقدراتها الفكرية القاصرة، وبين اللغة الفصيحة، بقدراتها الفكرية المبدعة وباتجاهاتها الموحدة. وان النظرة الشاملة للقضايا التي تواجهها العربية في العصر الحديث في مختلف اقطار العروبة لتؤكد وجود قضية أساسية تتمثل في ألفاظ الحضارة. وهذه القضية المهمة، وان بدت منفصلة الى حد ما عن اللغة الأدبية واللغة العلمية، فانها متصلة بهما أشد الاتصال، لأنها لغة الحياة العملية والتعامل اليومي. ومن البدهي أن ننبه الى أن الحديث عن ألفاظ الحضارة سواء أكانت

(١) التي هذا البحث في المؤتمر السنوي الخامس والخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك يوم ١٩٨٩/٣/٢

الدرجة منها أم المقترحة، لا يعني بالضرورة الحديث عن اللغة العامية أو اللهجات العامية. فالحديث عن العامية حديث عن هذه اللهجة من حيث نحوها وصرفها وأساليب التعبير بها، في حين أن الحديث عن ألفاظ الحضارة الدرجة أو المقترحة، هو حديث عن مفردات من حيث جرسها وإيجاءاتها ودلالاتها وأصولها. . وقد تجد هذه المفردات طريقها الى اللغة الأدبية، كما تجد طريقها الى اللغة العلمية. وتجد طريقها الى اللغة الفصيحة، كما تجد طريقها الى اللغة العامية. وبما أن الألفاظ الحضارية متصلة أشد الاتصال بالحياة اليومية للناس في ظروفهم الحياتية ومعاملاتهم المعاشية، فانها تتخالط العامية وتمازجها تمازجاً كلياً بحيث يصعب التفريق بينهما. وربما كانت مبادرة الجمهور بإحساسه اللغوي وعفويته في اطلاق هذه اللفظة أو تلك على ذلك المدلول، تصلح أساساً لتفسير هذه الظاهرة في اغناء اللغة المحكية من حيث الألفاظ الحضارية.

ونحن عندما نتحدث عن «الفاظ الحضارة»، فاننا نعني بها جميع الألفاظ التي يستعملها الانسان العربي في حياته المعاشية من مأكّل ومشرب وثياب وما يتعلق بها، ومن منزل وأدوات منزلية وأسماء الأماكن وما يتعلق بها، ومن المكاتب وأدواتها، والمركبات وما يتعلق بها، وكذلك مما يتعلق بالحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستخدمة فيها، فضلاً عن التربية الرياضية وغيرها من الألفاظ والمصطلحات التي تدخل لغة وسائل الاتصال الجماهيرية واليومية. . ولا شك ان هذه الألفاظ الحضارية، من حيث اتصالها بالحياة والاستعمال اليومي، قد تتسع في دوائرها حتى تتصل بمصطلحات الفنون الجميلة على مختلف أنواعها ومذاهبها.

وربما كان من المفيد أن نحدد أن الفاظ الحضارة التي تعيننا في هذا البحث، هي الألفاظ التي تعبر عن ظروف الحياة ومستلزماتها المعاشية لجماهير أمتنا العربية في اقاليمها المختلفة. ومن هنا تنشأ الخصوصية التي تميز معجم ألفاظ الحضارة بالعربية عن غيره من المعاجم المتخصصة.

لقد أدى تعثر الحياة العلمية وجودها في أقطار العروبة منذ القرن السادس عشر الميلادي، ولاسيما في حقول العلوم الحديثة من تطبيقية وبحثة، الى توقف العربية عن استيعاب المصطلحات العلمية. وعندما بدأت النهضة العلمية

الحديثة، ولاسيما منذ أوائل القرن العشرين، واجهت مؤسساتنا اللغوية والعلمية فراغا يكاد يكون تاماً فيما يتعلق بمصطلحات العلوم والفنون الحديثة باللغة العربية. وما ان بدأت بذور هذه النهضة العلمية في الوطن العربي حتى نشب الصراع بين أنصار العامية من جهة وأنصار العربية الفصحى من جهة أخرى. وكان يساير هذا التيار، ويجسد أهدافه العدائية صراع آخر، ما زال محتدماً، مع الأسف حتى يومنا هذا، بين أنصار جعل العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة الانسانية، وبين القلة المتنفذة التي ما زالت تنشب في ابعاد العربية عن أن تكون لغة الفكر العلمي العربي في مؤسساته العلمية وجامعاته الوطنية.

فلإذا تجاوزنا هذه المرحلة من تاريخنا العلمي واللغوي، الى مرحلة سيادة العربية في أوطانها ومؤسساتها العلمية والجامعية، وهي بالغتاً قريباً إن شاء الله - وجدنا أنفسنا أمام قضية جوهرية واحدة، وهي توحيد المصطلحات العلمية والحرص على ان تكون هنالك لغة علمية واحدة بالعربية.

فاذا كان هذا هو الحال، فيما يتعلق بالمعجمات العلمية العربية المتخصصة، فإن الحال مختلف فيما يتعلق بمعجم «ألفاظ الحضارة». فألفاظ الحضارة مستمرة في حياة أمتنا في اقاليمها المختلفة عبر القرون باستمرار الحياة ذاتها والحاجة الى التعبير عن لوازمها. فنحن أمام سيل متصل من الفاظ الحضارة في مجتمعنا العربي في اقاليمه ومناطقه المختلفة، وفي مدنه واريافه وبواديه... ولا شك ان الفاظ الحضارة هذه هي نتاج ظروف الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فنحن في هذا المجال لا نواجه قضية الفراغ الذي واجهناه ونواجهه عند وضع المصطلحات العلمية، وانما نواجه قضية من نوع آخر. ولعل دراسة هذه القضية تؤدي بنا الى تحديد معالمها، من حيث أصول بعض هذه الالفاظ الحضارية ومنابعها الأولى سواء أكانت عربية صليبية أم معربة، وكذلك من حيث الشيوخ وملاءمة رونق العربية وأساليبها، ومن حيث الذوق والخفة على السمع واللسان... هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن معجم الفاظ الحضارة باللغة العربية يواجه ايضاً فراغاً في بعض جوانب الحياة الحضارية الحديثة. ومن هنا فهو معجم دائم النمو، ومن الواجب ان

يتابع المتطلبات الحياتية للأفراد والجماعات .

وقد أشار مجمعنا الكبير بالقاهرة الى عظم هذه المشكلة وأهميتها، وطرحها للبحث منذ وقت مبكر في أواسط هذا القرن . فقال الاستاذ الرئيس الدكتور ابراهيم مذكور في تصديره لمحاضر الدورة الثانية عشرة لعام ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، وكان اذ ذاك أميناً عاماً للمجمع : «الفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية، وقد تكون معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، والاجماع عليها ليس بالأمر الهين، ولا بد أن نستعين عليها بشتى الوسائل» .

أما ان معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، وأن الاجماع عليها ليس بالأمر الهين، فهذا مما لا شك فيه، ولكننا نتساءل كيف أن أمة قد وحدث لغتها الأدبية وتحاول توحيد لغتها العلمية بتوحيد مصطلحاتها، ما زالت تغض النظر عن معالجة موضوع ألفاظ الحضارة وضعاً وتوحيداً على الرغم من الوسائل العلمية والتقنية التي تيسرها وسائل العلم والتقنيات الحديثة . . أليس من الواجب أن يكون هنالك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع ألفاظ الحضارة ويصلح أن يكون أساساً للغة حضارية واحدة بين جماهير الأمة العربية في مختلف أقطارها؟

ولكي نستوعب عظم هذه المشكلة ومدى أهميتها، جمعت عدداً من الألفاظ الحضارية في مدينة ما من المدن الأردنية، دون استقصاء أو محاولة اقامة دراسة جادة . فقد اكتفيت بنماذج عشوائية تشمل أسماء الأدوات المنزلية وأثاث المنازل والمكاتب والملابس وأدوات بعض المهن وأسماء المأكولات وغير ذلك من التعابير الحضارية . .

حقاً، لقد هالني الأمر . فهنالك الاختلاف بين الألفاظ الحضارية بين مدينة وأخرى وبين منطقة وأخرى . وهذا الاختلاف قد يضيق ويتسع وفق ظروف معينة أو حسب تباعد المسافات . وهنالك الاختلاف الملحوظ بين كثير من الألفاظ الحضارية بين جيل وآخر . أما الألفاظ الحضارية الوافدة من البلاد الاجنبية، ولاسيما من الغرب، فقد وجدت طريقها بصورة عمياء الى الجماهير المستهلكة والى وسائل الاتصالات الجماهيرية من صحف ونشرات واعلام رسمي وشعبي . . وتعدى ذلك الى طغيان حضاري، يتمثل باشاعة الأسماء

الأجنبية وإطلاقها على المحلات العامة من تجارية وصناعية . . . ويبلغ هذا الطفيان مداه عندما نرى هذه الأسماء الأجنبية تكتب أيضاً بحروف عربية . فقد رأيت في إحدى القرى الأردنية النائية ، متجراً متواضعاً جداً كان أشبه بمدخل ضيق . . . وكانت محتوياته من البضاعة المعروضة للبيع ليست بأحسن حال من مبناه ، ونخيل إلى أن صاحبه يستطيع القراءة والكتابة بصعوبة . . . ومع ذلك فإن المحل يحمل اسم «سوبر ماركت» !! أما في شوارع العاصمة والمدن المهمة . . . فحدث عن ذلك ولا حرج !

ونحن إذا تجاوزنا حدود قطرنا إلى الأقطار العربية المجاورة والبعيدة ، فإن الأمر يصبح مذهلاً وخطيراً . فالاختلاف في الفاظ الحضارة ، يجعلنا ، مع الأسف ، نقف أمام حاجز خطير يمنع تفاهم جماهير أمتنا بعماها وفلاحيتها ، بعضهم مع بعض . . . وإذا كان المثقفون يجدون في اللغة الفصيحة المكتوبة أو في اللغة المحكية القريبة منها ، وسيلة للتفاهم ، فإنهم يصطدمون بعسر التفاهم ، إذا تناولوا ألفاظ الحضارة بالاستعمال . . . والأمثلة على ذلك كثيرة ، سواء ما كان منها تراثياً شائع الاستعمال في أقطارنا العربية منذ ازمان قديمة ، أم كان منها دخيلاً حديثاً حملته الحضارة المعاصرة إلى شعوبنا صانعة أو مستهلكة .
فهناك مثلاً القمح والحنطة والبرّ والغلّة وجميعها ألفاظ تراثية ، وغالباً ما تستعمل مترادفات في كل قطر .

ولنأخذ مثلاً كلمة «البطيخ» وكم تتعدد الاختلافات في مدلولاتها في مختلف الأقطار . . . وقد يضطر الباحث مع الأسف إلى أن يضع مقابلها اللفظة الأجنبية كي يحدد مدلولها . فهناك «بطيخ أصفر في الشام ، وشام في الاردن وفلسطين ، وشام وبطيخ وقاوون في مصر هذا مع العلم ان كلمة «قاوون» تركية . وهكذا تتعدد الألفاظ لمسمى واحد . فهو: بطيخ أخضر وبطيخ أحمر وبطيخ شامي وبطيخ هندي ، ودلاع وخربز وخبحب ، وجبس ورقي . حيث تسود كل لفظة في قطر من الأقطار أو في منطقة دون أخرى .

وقل مثل ذلك في كثير من أسماء الفواكه والأطعمة والمأكولات والأدوات المنزلية وغيرها من ألفاظ الحضارة . فالوعاء مثلاً الذي ينفخ فيه رماد السجائر وتلقى فيه أعقابها يسمى : متكة ومكته ومنفضة وطفطوقه وسنديره . . .

الخ.

وفي أدوات الكتابة ذاتها ومستلزمات المكتب، اختلاف كبير في الألفاظ الدالة عليها. . أما الأدوات الحديثة التي دخلت في الحرف والمهن والصناعات، فقد دخل معظمها بألفاظها الأعجمية، بعد أن أصابها التحريف العفوي، أو المبادرة المحلية بعيداً عن كل قاعدة أو قانون ينتظمها.

ومنذ مطلع هذا القرن، جرت محاولات ودراسات، كانت غايتها اغناء اللغة العربية بما يجتد من الفاظ الحضارة الحديثة. وكثيراً ما كان الأمر يغم فتتداخل مصطلحات العلوم الحديثة بألفاظ الحضارة الحديثة، دون أن يفرد أيضاً موضع خاص بمصطلحات الفنون الحديثة مثل: التصوير والنحت والمرسومات والخزف والسينما والموسيقى. . الخ.

وكان لمجمعنا بدمشق ومجمعنا بالقاهرة فضل الريادة في إثارة هذا الموضوع الخطير. وقام مجمعنا بالقاهرة، منذ أوائل الأربعينيات بالبحث في الوسائل التي يمكن استخدامها من أجل تزويد اللغة العربية بمصطلحات الحديد في ميادين الحضارة الحديثة. . وان المناقشات والآراء المختلفة التي طرحت في ذلك الوقت، وحفظتها محاضر جلسات المجمع، تكون مصدراً مهماً من أجل وضع الأسس العلمية التي يمكن ان تصلح منطلقاً منهجياً لمجمعنا اللغوية من خلال اتحاد المجمع، لوضع معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي.

وما زالت مقولة المرحوم العالم المجمع الاستاذ محمود تيمور، تكون أساساً صالحاً تقوم عليه فلسفة هذا المعجم الحضاري، وتعطيه هويته العربية الجامعة، حيث يقول، رحمه الله، «إن السعي الى وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة أو الحياة العامة ليس مقصوداً به فرض ذلك على أفواه العامة في البيوت والأسواق، ولكن المقصود به اسعاف الاقلام الكاتبة بما يسد حاجة التعبير من ألفاظ فصاح لمسميات حضارية شاملة، وإشاعتها في الصحف السيارة والكتب المتداولة، وأذاعتها في مجالات الاذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية في أرحب نطاق»^(١).

(١) معجم الفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، تصدير الاستاذ بدر الدين ابو غازي، ص ز، القاهرة،

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠.

ونحن الآن لا يدور في خلدنا أننا نهدف الى التغيير القسري لما يستعمله عامة الناس في كل قطر من الأقطار العربية، ولكن من الواجب، كما أشرنا سابقاً، ان يكون هناك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع الفاظ الحضارة ومستلزمات الحياة الحديثة، يمكن ان يكون مرجعاً لكتاب العربية وأدبائها في العصر الحديث في مختلف الفنون الأدبية من قصة ورواية ومسرحية . . وغيرها، وفي جميع وسائل الاتصال الموجهة الى جماهير الأمة العربية . . ولا شك ان هذا الوضع سيؤدي الى اشاعة هذه الألفاظ، وحيائها بالاستعمال . . وبالتالي ستحل الألفاظ الحضارية الموحدة، محل تلك الألفاظ المحلية، بصورة طبيعية ودون عنت أو قسر، وان لغة الثقافة كفيلة بنشرها . . وهناك أمثلة كثيرة يمكن الاستشهاد بها من حياتنا العملية . فنحن نعلم مثلاً ان هنالك كثيراً من الألفاظ المفرقة بعاميتها، محلياً أو قطرياً، قد اختفت من الاستعمال العام، وحلت محلها الفاظ فصيحة أو أقرب الى الفصيحة، مما يخفّ وقعه على الأسماع ويسهل دورانه على الألسنة . . فلو أخذنا مثلاً لفظة «سيارة»، هذه اللفظة التراثية الجميلة، فانها قد باتت تسير على جميع الألسنة، دالة على هذه الآلة الحضارية الحديثة، في حين أننا لو رجعنا الى نصف قرن أو يزيد، لوجدنا الفاظاً كثيرة مختلفة للتعبير عنها في كل قطر من الأقطار العربية فهناك «الأوتوبيس» و«الأوطمبيل» و«الطنمبيل» و«الكاره» و«الختور» . . الخ، من الألفاظ الأعجمية والعامية الجلفة . . وقد حلّ محلها جميعاً في الاستعمال الثقافي وبين عامة الناس أيضاً لفظة «السيارة» . وقد نقلت من معنى تراثي معروف في اللغة الفصيحة الى معنى اصطلاحي يدل على هذه الآلة المحددة . . ولا أظن أن الذهن يتجه الى أي معنى آخر لهذه اللفظة في الوقت الحاضر بين عامة الناس والمثقفين .

وقد قام بجمعنا القاهري، بتأصيل هذا الاتجاه، بنشره ما وضعته لجنة ألفاظ الحضارة وخبرائها، وأطلق عليه تفاؤلاً اسم «معجم الفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون» .

وجاء تصدير الزميل الأستاذ بدر الدين ابو غازي - رحمه الله - على ايجازه شاملاً وعميقاً في عرضه لموضوع «الألفاظ الحضارية» .

وهناك محاولات أخرى في هذا المجال، كان لمجمعنا بدمشق مشاركة مهمة فيها. . ومنذ حوالي عقدين من الزمن نشر الأستاذ عبدالعزيز بن عبد الله في مجلة اللسان العربي، التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الرباط، سلسلة من معاجم المهن مثل «الخبازة والنجارة، والحدادة. . الخ.

وقد قامت مؤسسة «دار لسان العرب، بيروت» بنشر مجلد خاص لحقته بمجلدات معجم لسان العرب، تحت عنوان «معجم المصطلحات العلمية والفنية» (عربي - فرنسي - انجليزي - لاتيني)، قام باعداده وتصنيفه الأستاذ يوسف خياط. وقد سار على نهج ابن منظور في محاولته جمع المصطلحات العلمية والفنية الواردة في عدد من المصادر المجمعية والجامعية وعند بعض المؤلفين، ثم تصنيف هذه المصطلحات. وقد تداخلت فيه بعض الألفاظ الحضارية مع المصطلحات العلمية، وليس من شأننا في هذه الكلمة أن نعرض لموضوع المصطلحات العلمية، التي كان فيها لمجمعنا اللغوية ومؤتمرات التعريب جهود مشكورة خيرة.

أيها السادة العلماء، فهذه كلمة عامة وعرض سريع، لقضية مهمة من قضايا العربية التي تواجهها في أواخر القرن العشرين. وان مجامعنا اللغوية ومؤسساتنا العلمية، لمدعوة، بحكم واجبها أن تتصدى لجميع هذه المشكلات والقضايا التي ما زالت تقف عائقاً بين لغتنا العريقة في تاريخها العلمي والحضاري والفكري، وبين استيعابها جميع معارف الحضارة الانسانية الحديثة. وان موضوع «معجم موحد لألفاظ الحضارة» ليندرج في هذا السياق، من أجل وحدة الأمة، وفسح المجال للرحب أمامها من أجل بناء نهضتها العلمية والأدبية والفكرية، والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة الحديثة.

ونحن نعتقد أنه قد آن الأوان، كي تقوم مجامعنا اللغوية العربية، ومن خلال اتحاد المجامع، بالعمل على انشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم العربية، حيث تستغل امكانات الأمة العلمية والمادية من اجل وضع المعاجم المتخصصة في مختلف العلوم والفنون. والمعجم الحضاري والمعجم التاريخي للغة العربية يمثلان الأمل الكبير الذي طالما تطلعت اليه أمتنا في مختلف مؤسساتها العلمية. أما ما يخص المعجم الموحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي «فنحن نعتقد أنه

من الضروري أن توضع خطة علمية شاملة على مستوى الوطن العربي .
فنجتمع جمع استقصاء كل الفاظ الحضارة التي تستخدم في جميع الأقطار
العربية ، سواء منها ما كان من ألفاظ المؤسسات العلمية ، أو ما كان من الفاظ
السوق ، أو الأسماء التي يطلقها أصحاب الصناعة على آلاتهم وأدواتهم . . الخ ،
وان تضبط هذه الألفاظ ضبطاً كاملاً وتشرح شرحاً واضحاً ، وقد يستعان بالرسم
عند الحاجة .

ولا بد من استخدام الحاسوب والتقنيات الحديثة في مثل هذه الأعمال
اللغوية الجليلة . فتُخزن جميع هذه الألفاظ ، مع الضبط والشرح والجهة التي
تشيع فيها . وان يكون هذا كله أحد المصادر التي يستعان بها الى جانب المعاجم
القديمة والحديثة ، العربية منها والأجنبية ، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن
الاجتهاد في الوضع والنقل والاشتقاق والنحت وغير ذلك من أساليب العربية ،
يجب أن تكون الفلسفة التي تنزع عنها هذه المؤسسة في اصدار المعجم الموحد
لألفاظ الحضارة في الوطن العربي .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ،